الفِقْه الحضاري عند طه جابر العلواني

حنان فيض الله الحسيني*

الـمُلخَّص

تستكشف هذه الورقة معالم الفِقْه الحضاري عند طه جابر العلواني، بأن ألقت الضوء على فلسفته الحضارية الـمُنبثِقة من المقاصد القرآنية العُليا الحاكمة، وإلى طبيعة مشروعه الحضاري ومفاهيمه التأسيسية المرتبطة به، ووضَّحت وسائل هذا المشروع وآليَّة اشتغاله (الاجتهاد) والإطار النظري لبناء المجتهد الرسالي، كما عرضت لمستلزمات هذا الفِقْه –الفِقْه الأكبر– وعناصره.

تحاجج الورقة بأن هذا الفقه الحضاري هو نتاج لفلسفة التلقّي، التي ارتكزت على النظر في القرآن الكريم لتعرُّف كُلِّياته وقواعده واستخراج الأحكام الشرعية منه؛ فنشأت عقلية الاستخلاف والتسخير بعيداً عن اختُزِل الكتاب المجيد والرسالة المحمدية في أحكام وفِقْه وقانون وتشريع. وتستنتج الورقة أن مشروع الفقه الحضاري يقوم على فرضية أساسية، وهي أن المرحلة الراهنة في تعاطي الفقه الحضاري مع الحضارة الغربية تستدعي ثلاثة مستلزمات: فقه النص، فقه الواقع، وفقه الزمن. ومن شأن التكامل بينها أن يفضي إلى فقه التجديد الحضاري المتواصل.

الكلمات المفتاحية: الفِقْه الحضاري، الاجتهاد، فقه النص، فقه الواقع، فقه الزمن، فقه التجديد الحضاري.

---

* دكتوراة في الفلسفة، الجامعة الأردنية، 2017، باحثة في مجال الفكر والحضارة. البريد الإلكتروني: hanan_alhuss@yahoo.com

تم تسلُّم البحث بتاريخ 1/ 5/ 2024م، وقُبِل للنشر بتاريخ 25/ 2/ 2025م.

للاقتباس: الحسيني، حنان فيض الله (2025). "الفِقْه الحضاري عند طه جابر العلواني"، **مجلة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة سابقاً)**، مجلد 31، العدد 109، 201–225.

DOI: 10.35632/citj.v31i109.13843

كافة الحقوق محفوظة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي © 2025

مُقدِّمة

لا يخفى على مُتأمِّلٍ غياب الفِقْه الحضاري عن صناعة الأُمَّة؛ إذ لم يحظَ هذا النوع من الفِقْه في التفكير الإسلامي بالجهود المطلوبة لتقريره وبيانه وإسقاطه على الواقع من خلال قواعد وتعاليم تضبط حركة الإنسان وتفاعله في إطار الزمن.

إنَّ الأُمَّة في حالتها الحاضرة مُغيَّبة عن واقعها الخاص، وواقع كيانها الاجتماعي وما يحيط به، وهي مُغيَّبة كذلك عن الواقع العالمي؛ ما يعني أنَّها تعاني غياباً حضارياً، وانحساراً حضارياً، ونكوصاً حضارياً، واستلاباً حضارياً. وهذه المفاهيم جميعها تُمثِّل دلالات سلبية تَصِف واقع الـمُسلِمين الحضاري اليوم، وتشير إلى مَرَض أَلَـمَّ بالأُمَّة، فأقعدها عن أداء دورها المنوط بها، مُمثَّلاً في قيادة العالَم والشهادة عليه. فما أسباب ذلك الغياب؟

يُعَدُّ الافتقار إلى فِقْه منهجي واضح لإنـزال الدين في الواقع سبباً مُهِمّاً في تأخُّر النهوض الحضاري؛ ذلك أنَّ تقدُّم أيِّ أُمَّة مرهون بأمرين؛ الأوَّل: طاقتها الروحية، والثاني: قدرتها على فهم الواقع فهماً دقيقاً يجعلها أهلاً لتوظيف تلك الطاقة في الارتقاء بالأُمَّة، ويقيها الوقوع في الأخطاء الجسيمة. فغياب فِقْه الواقع عن المحاولات الإصلاحية التي شهدتها الأُمَّة منذ عهود الاستقلال بعد خروج الـمُستعمِر من أراضي الـمُسلِمين، وانشغال الأُمَّة بمقارعة أذياله في المنطقة؛ فوَّت على الـمَعْنِيّين بالإصلاح القدرة على إدراك الواقع، والانطلاق منه لحَلِّ الإشكالات على نحوٍ بعيد عن المثاليات.

وتأسيساً على ذلك، فإنَّ أوَّل المطلوب من الأُمَّة التي تطمح إلى النهوض والوصول إلى حالة الشهود الحضاري هو الوقوف الواعي على ذلك الفِقْه، وفهم طبيعته وقواعده؛ لتحقيق مقتضياته في عالَم الشهود.

وقد قدَّم العلواني مقاربة في الفِقْه الحضاري لها أُسسها المفاهيمية الـمُستمدَّة من كتاب الله تعالى، ووضع لها منهجية تَحْكمها، وتسير إلى تحقيقها في عالَم الشهود، مُنتِجاً بذلك فِقْهاً تجديدياً قادراً على النهوض بالأُمَّة في بُعْديها: الداخلي، والعالمي.

غير أنَّ العلواني لم يكن الوحيد الذي قدَّم مقاربة في الفِقْه الحضاري -وإنْ كانت مختلفة من حيث التأسيس والتوجُّه-؛ فقد قدَّم مُفكِّرون آخرون مقاربات في الفِقْه الحضاري، مثل: الدكتور عماد الدين خليل الذي قدَّم مقاربة حملت عنوان: "في الفِقْه الحضاري: حول منهج جديد لدراسة حضارة الإسلام"، والدكتور عبد المجيد النجار الذي قدَّم مقاربة يُمكِن استخلاصها من كتابه القيِّم: "الشهود الحضاري للأُمَّة الإسلامية"، وعمر بهاء الدين الأميري الذي ألَّف كتاب: "الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية في ضوء الفِقْه الحضاري"، وضمَّنه منهجاً في البحث والعِلْم والفهم والسلوك، وهو منهج له دلالته في النهوض الحضاري.

تروم هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

ما فلسفة الفِقْه الحضاري عند العلواني؟ وما أهمِّيتها؟ وما طبيعة مشروعه الحضاري؟ وما المفاهيم التأسيسية الـمُكوِّنة لهذا الفِقْه؟ وما مستلزمات الفِقْه الحضاري وعناصره؟ وما فِقْه التجديد الذي دعا إليه العلواني من حيث طبيعة النسق الإسلامي وقابليته للتجديد والمنهجية اللازمة لتحقيقه؟

وبناء عليه تحاول هذه الدراسة رسم ملامح الفِقْه الحضاري عند العلواني، الذي يحتكم إلى القِيَم العُليا الناظمة له، وهي: التوحيد، والتزكية، والعمران، وذلك للإجابة عن الأسئلة المطروحة في الدراسة.

وقد اعتمدت هذه الدراسة منهجاً تحليلياً يقوم على تتبُّع النصوص الـمُتناثِرة في كتب طه جابر العلواني؛ بُغْيَةَ استنطاقها، وتجلية الخَطِّ الناظم لأفكاره في ما يخصُّ الفِقْه الحضاري، ومراحل تطوُّر تلك الأفكار، وصولاً إلى مشروعه التجديدي.

الدراسات السابقة

إنَّ معظم الدراسات التي تناولت فكر العلواني لم تتطرَّق إلى مسألة الفِقْه الحضاري بصورة مباشرة، وإنَّما تناولته بصورة عرضية غير مباشرة، وألقت اهتمامها -في معظمه- على مناحٍ أُخرى

مُؤدِّية إليه بحسب اعتقادها. وفي رأينا، فإنَّ ذلك مَردُّه إلى تشعُّب أفكار العلواني وغزارتها. وفي ما يأتي أبرز الدراسات التي عُنِيت بإظهار الجانب الفكري من شخصية العلواني:

1. الدراسة التي حملت عنوان: "جامع فِقْه الأُمَّة: رحيق الحقيبة المعرفية للعلّامة طه جابر العلواني"؛ إذ اجتهد كاتب الدراسة في استخلاص كلِّ ما كتبه العلواني، مُجلِّياً هدفه من أفكاره التي نظمها في سبيل تشكيل وعي يُمكِّن الأُمَّة من بِناء فِقْه حضاري، بوصفه فرض العصر الذي ينبغي السعي إلى تحقيقه، والذي يصدر من النبع الصافي؛ أيِ القرآن الكريم (عمر، 2021).

2. الدراسة التي حملت عنوان: "المقاصد القرآنية العُليا ودورها في بِناء العمران الإسلامي عند الدكتور طه جابر العلواني: مفهوم الأُمَّة نموذجاً"؛ إذ حرص كاتب الدراسة على إبراز دور العلواني في التأسيس للمقاصد العُليا الكُلِّية الحاكمة الـمُستمدَّة من القرآن الكريم (التوحيد، التزكية، العمران، الأُمَّة، الدعوة)، بوصفها مُحدِّدات منهجية تضبط حركة الفكر والحياة، وتعمل على بِناء عقل مقاصدي تعليلي يعيد بِناء كيان الأُمَّة من جديد (عشماوي، 2019).

3. الدراسة التي حملت عنوان: "البواعث الفكرية والمنهجية في سلسلة الدراسات القرآنية لطه جابر العلواني"؛ فقد أوضح الكاتب في دراسته أنَّ العلواني أرسى دعائم المنهج القرآني الـمُتكامِل بدعوته إلى القِيَم الكُلِّية القادرة على حَلِّ الأزمات الفكرية والحضارية للوجود الإنساني، وذلك بتأسيسه نظاماً معرفياً يجيب عن الأسئلة الكُلِّية المطروحة، ويُحقِّق الرشد الحضاري. وبذلك يكون الكاتب قد جلّى هدف العلواني من اهتمامه بالدراسات القرآنية، ويتمثَّل هذا الهدف في "أنَّ القرآن هو الـمُحرِّك الرئيس لهذه الأُمَّة، وأنْ لا نهوض لها من دون استلهام معانيه وهديه في حَلِّ مشكلات النفس والمجتمع والعالَم" (الدقور، 2013، ص154).

4. الدراسة التي حملت عنوان: "طه جابر العلواني: تجلِّيات التجديد في مشروعه الفكري": أشار الكاتب في دراسته إلى مظاهر التجديد في المشروع الفكري للعلواني، مثل دعوته إلى الإصلاح الفكري لإحياء المشروع الحضاري، مُبيِّناً أنَّ هذا المشروع يتطلَّب -في نظر العلواني- معالجة قضايا

أساسية، هي: "قواعد التعامل مع كتاب الله، وقواعد التعامل مع سُنَّة الرسول ﷺ، والتعامل مع التراث الإسلامي." كذلك يتطلَّب المشروع مِمَّنْ يتصدّىٰ لهذه القضية أنْ يكون علىٰ وعي بأمور عِدَّة، منها؛ تعرُّف قواعد الحركة التاريخية وأسبابها، وإدراك الأبعاد العقدية وعلاقاتها بالقوَّة وقوانين الحركة التاريخية، واستشعار أهمِّية العِلْم والإيمان والمال في اكتساب عناصر القوَّة اللازمة لقيام مشروع حضاري، يكون أساسه بِناء إنسان سَوِيٍّ؛ نفساً وعقلاً وجسماً، يَصْلُح لأنْ يكون لَبِنة في البِناء الحضاري (أبو حليوة، 2011، ص139–151).

5. الدراسة التي حملت عنوان: "الأزمة الفكرية والحضارية في الواقع العربي الراهن": استعرض الكاتب في دراسته ما ذكره العلواني من عناصر الفشل التي أحاطت بالحقبة الراهنة، وظلَّت مُلازِمة لها، في ما عُرِف بمرحلة الوعي بالذات[1] أو اكتشاف الذات. الذي استدعىٰ –من وِجهة نظر العلواني– نشر الوعي والعودة إلىٰ الذات، ويرتبط ذلك بعودة منهجية ومعرفية إلىٰ الكتاب الكوني، وعلىٰ أسس محاكمة الحضارة الغربية التي مارست عملية التفكيك، ولم تُكمِل مشوارها الفلسفي نحو التركيب. وقد بيَّن الكاتب أنَّ العلواني قدَّم فكرة العالمية في إطار تحريضي، صاغ فيها مبادئ التحدّي (الفكر السليم، المنهج الواضح، المعرفة الراسخة)، عادّاً إيّاها من الشروط التي يجب أنْ يتمكَّن منها الـمُسلِم في أدائه للوصول في الإسلام إلىٰ عالميته (حاج حمد، 2004، ص143–152).

أوَّلاً: مُقدِّمة في الفِقْه الحضاري

يُسهِم الفِقْه في تنظيم فعّاليات الإنسان التي لها تعلُّقٌ بالفضاء الخارجي؛ نظراً إلىٰ امتلاك الإنسان قدرة فائقة علىٰ تطوير المجتمع، والمشاركة في نهضة الأُمَّة. وكلُّ حضارة تسود لا بُدَّ لها من

[1] يمثل الوعي بالذات، أو اكتشاف الذات، أو العودة إلىٰ الذات، المرحلة الثالثة من مراحل ثلاث مَرَّ بها الفكر الإسلامي عند اتِّصال العرب والـمُسلِمين بالفكر والثقافة والمعرفة الغربية. وما يُميِّز هذه المرحلة هو انكشاف الثغرات الكُبرىٰ في حضارة الغرب، وأنَّ الأُطر الفكرية الغربية لم تَعُدْ صالحة لِبناء نهضتنا وحضارتنا. وقد طُرِحت في هذه المرحلة كثير من القضايا، ووُضِع الـمُفكِّرون الـمُسلِمون أمام الاختيار العسير والتحدّي الخطير؛ فإمّا أنْ يُثبِتوا أنَّ الإسلام قادر علىٰ الاستئناف من جديد في بِناء حضارة قادرة علىٰ تقديم البديل، وإمّا الانسحاب والعودة إلىٰ التيه. (العلواني، 2001 ب، ص181).

فِقْه يقيمها ويعليها؛ فالصلة بين الحضارة والفِقْه وثيقة لا تنفكُّ. وتتَّضح هذه الصلة عبر البحث في فضاء الحضارة بوصفه نتاجاً طبيعياً لممارسة المجتمع فعل التفقُّه والتحضُّر.

1. مفهوم الفِقْه الحضاري

ربط العلواني -في تناوله للفِقْه الشرعي الحضاري- قيام الحضارة ونموَّها بالتزام الشرع، والانطلاق من العقيدة، قاصداً بذلك "معالجة قضايا العصر بعقلية مُنفتِحة قادرة على الإفادة من كلِّ المنجزات الإنسانية النافعة" (العلواني، 1994 ب، ص59). وقد توقَّف العلواني عند كلمة (يفقهون) في القرآن الكريم مُتأمِّلاً فيها، ليجد أنَّ فِقْه الدين هو فِقْه الحياة، ومن ثَمَّ هو الفِقْه الحضاري الذي أطلق العلواني عليه اسم الفِقْه الأكبر، وعرَّفه بأنَّه "العِلْم الذي اعتمد عليه في بِناء الشخصية الإسلامية للفرد والأُسْرة والمجتمع والدولة، وهو فِقْه مقتضيات الخلافة ومستلزمات أداء الأمانة، والقيام بحَقِّ العمران، والوصول إلى الأحسن في اختبار البلاء؛ إنَّه فِقْه التديُّن بالإسلام كلِّه، وفهم مقاصده، وغاياته، وأهدافه، وكُلِّياته، وجزئياته" (العلواني، 2021، ص11).

2. فلسفة الفِقْه الحضاري

تنبثق فلسفة الفِقْه الحضاري عند العلواني من "رؤية كُلِّية كونية" للكون والإنسان والحياة، ينتج منها نسقاً قرآنياً فاعلاً في المعرفة والنشاط الإنسانيين. وتحتكم هذه الرؤية إلى كُلِّيات وقِيَم عُليا، استنبطها العلواني من القرآن الكريم، وهي: التوحيد، والتزكية، والعمران، والأُمَّة، والدعوة. ومن ثَمَّ، فهي تصبغ علاقات الـمُسلِم بخالقه، وذاته، والكون، والآخرين (الدخاخني، 2014).

ترتكز "المقاصد العُليا الحاكمة" على تطوير "نظرية معرفية عامَّة" في العلوم الاجتماعية، أو في ما يُعرَف بعلوم العمران. وفيها يتمُّ تطوير الثقافات المحلية والثقافات القومية عن طريق استيعابها؛ بُغْيَةَ إيجاد نسق حضاري يسمح بقيام مجتمع عالمي مُتجاوِز للخصوصيات (العلواني، 2001 أ، ص147-148). أمّا الكُلِّيات والقِيَم العُليا فتُؤسِّس "للفِقْه الأكبر، وتضبط حركة الفِقْه، وتعطيه الوِجهة والقِبلة، وتنفي عنه الشكلية والجزئية، والنفس القانوني الجامد" (العلواني، 2010 أ، ص38).

وفي سياق آخر، وجد العلواني أنَّ الفِقْه الأكبر هو نتاج لفلسفة التلقّي الـمُستمدَّة من جيل التلقّي، التي ارتكزت على النظر في القرآن الكريم لتعرُّف كُلِّياته وقواعده واستخراج الأحكام الشرعية منه؛ أُسوةً بالرسول ﷺ في عدم الخوض بأمور سكت عنها القرآن الكريم، فنشأت عقلية الاستخلاف والتسخير بعيداً عن الوهم الذي ساد فيما بعدُ، حين اختُزِل الكتاب المجيد والرسالة المحمدية في أحكام وفِقْه وقانون وتشريع (أبو الفضل والعلواني، 2009أ، ص114-118).

3. منطق الحضارة الإسلامية

تختصُّ الحضارة الإسلامية -من وِجهة نظر العلواني- بفِقْه خاص هو منطقها الداخلي الذي حَكَم نشأتها وتطوُّرها؛ إنَّه فِقْه مصنوع بالعقيدة الإسلامية (عقيدة التوحيد) في تصوُّرها لحقيقة الوجود والغاية التي بُنِيت عليها الحياة، في ما يُمثِّل أوَّل مقصد من المقاصد القرآنية العُليا الحاكمة. وهذا المنطق ينبع من منهجٍ تُعَدُّ الشمولية من أهمِّ صفاته؛ فهو يحوي كلَّ الأبعاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ويهدف إلى تعزيز الثقة بمُقوِّمات الحضارة وقدرتها على الاستعادة والفاعلية، ويتعامل مع الحضارة بوصفها تكويناً مُتمثِّلاً؛ بَدْءاً، وصيرورةً، ونموّاً، وانكماشاً، وتدهوراً.

وفي رأي العلواني، فإنَّ الحضارة التي أقامها القرآن الكريم إنَّما هي "حضارة كلمة"، والكلمة يستحيل توثينها؛ فهي تختلف عن حضارة الصورة والتمثال في الحضارة الغربية، والكلمة الموجودة في القرآن الكريم كلمة إلهية تُقابِل الكلمات الإلهية الموجودة في الكون (العلواني، 2020، ص43).

4. مأزق الأُمَّة الحضاري ولزوم التغيير

أسَّس العلواني لفِقْه حضاري يدفع بالأُمَّة إلى الخروج من مأزقها، ويُحرِّرها من فكر الأزمة[2] الذي يسكن عقول أبنائها. فواقع الأزمة يستدعي لزوم التغيير، والحديث عن التغيير هو حديث

[2] فكر الأزمة: فكر إسلامي حركي، له ظروفه وملابساته ووسائله وأدواته. وقد نشأ هذا الفكر في إطار الدفاع عن كيان الأُمَّة ضدَّ المشكلات والاتِّهامات والقضايا التي حصرت النشاط في مُجرَّد ردود أفعال.

عن إزالة العقبات التي تقف أمام مشروع النهوض؛ ما يقتضي الفِقْه بآليّات التغيير وشروطه ووسائله. غير أنَّ الفِقْه عند العلواني لا ينهض بالتغيير إلّا إذا تحوَّل إلى وعي، بمعنى أنَّ الفِقْه والفهم يسبقان حالة الوعي، وأنَّ وظيفة الوعي هي تنظيم الذهن وترتيب الأولويات، وأنَّ مُحفِّزات الوعي ومُكوِّناته مُتضمَّنة وحاضرة في بِنيته الرئيسة (القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية).

ولرفع العجز الذي يعانيه العقل في مواجهة الواقع؛ فقد جعل العلواني قضية تحرير العقل أولوية، وذلك بإعادة تشكيله وَفقاً لمنهج عِلْمي واجتماعي وثقافي (أيْ منهج حضاري في جُمْلته) مُستقى من القرآن الكريم (العلواني، 2010 ب، ص20). وهذا المنهج يعالج مشكلات الأُمَّة القائمة على اختلاف أنواعها، ويستجيب لكلِّ التحدِّيات التي تُواجِهها، وذلك بإحداث مراجعة عميقة في قضايا الفكر، تتَّصف بالشمول والتحرُّر من كلِّ التراكمات السابقة والضغوط النفسية والتاريخية التي تعرَّض لها العقل الـمُسلِم؛ فتؤدّي هذه المراجعة إلى بلورة تصوُّر حضاري مُتكامِل "يُمكِّن من بِناء أُمَّة ومجتمع ودولة حديثة وقويَّة مُتماسِكة جديدة تقوم على احترام الإنسان كخليفة في الأرض" (العلواني، 1989، ص19).

ثانياً: طبيعة المشروع الحضاري

1. إرهاصات قيام المشروع البديل

وجد العلواني أنَّنا نعيش الآن إرهاصات مرحلة رابعة، هي مرحلة التحدّي الكامل، وأنَّ هذه المرحلة جاءت بعد ثلاث مراحل صبغت التعامل مع الفكر والحضارة الغربية، وهي: مرحلة الصدمة، ثمَّ مرحلة المواجهة، ثمَّ مرحلة الصحوة. وقد وضع العلواني دعائم لتلك المرحلة، تمثَّلت في فكر سليم، ومنهج واضح، ومعرفة راسخة (حاج حمد، 2004، ص146). ورأى أنَّها تشتمل على تحدِّيين، هما: الذات، والآخر. أمّا تحدّي الذات فيكون بالقدرة على "إقناع الأُمَّة بأنَّنا البديل الحضاري المناسب، وأنَّنا الأقدر على تقديم الفكر السليم والثقافة الصحيحة والحضارة القويمة

والعمران الأكيد، وأنّنا نحن الـمُؤهَّلون لأنْ نجتاز بالأُمَّة حاجز التخلُّف، ونُحقِّق لها أهدافها في الإنماء والعمران" (العلواني، 1994 أ، ص22). وأمّا تحدّي الآخر فيكمن في بلورة مشروع حضاري عالمي مُنفتِح، يستوعب الاختلافات، ويقود العالَم نحو الخير والسلام؛ ذلك أنَّ "التحدّي عالمي، والخروج من المأزق لا يكون إلّا عالمياً" (العلواني، 2003، ص52).

2. النموذج الحضاري البديل

يبدأ تحقيق التصوُّر الحضاري الـمُتكامِل بالعودة إلى الذات، مُمثَّلةً في العودة المنهجية والمعرفية إلى الكتاب الكوني؛ أيْ بعودة واعية للتعامل مع الكتاب الحكيم والسُّنَّة النبوية، والربط العقلي الـمُحْكم بين النصوص والوقائع، وإعادة طرح الأفكار والمفاهيم على نحوٍ يُحقِّق فعّاليتها وصلاحيتها، والتمييز بين الجوهري والعرضي في بِناء الحضارات، فضلاً عن اتِّباع الأُسس والمنهاجية للصدر الأوَّل والسلف الصالح من هذه الأُمَّة، مع تقدير البُعْد الزماني والبُعْد المكاني.

ولا شكَّ في أنَّ هذا النموذج الحضاري البديل يُلبّي البُعْد الغائب عن سائر مشاريع الإصلاح السابقة التي تفتقر إلى النظرة الشمولية، والرؤية الموضوعية في تنـزيل الكتاب الحكيم على الواقع البشري؛ نظراً إلى انطلاقها من نظرة تجزيئية تفتقد التوازن في كثير من مسالكها. كذلك جاء هذا النموذج ليُنقِذ العالَم من الأنموذج الحضاري الغربي القائم على النفعية والوصولية والاستغلال، ويكون بديلاً عنه.

ثمَّ دعا العلواني إلى ما سمّاه توبة الأُمم[3] في سياق إيمانه بأنَّ الخطاب القرآني ليس فقط خطاباً للنخبة، وإنَّما هو للناس كافَّةً، مُتقدِّماً بهذا النموذج نحو العالَم؛ بُغْيَةَ تحقيق "العالمية الإسلامية الـمُرتقَبة" عن طريق التدافع الحضاري، وَفقاً لسُنَن التداول بين الشعوب والأقوام على أساس

[3] توبة الأمم تتحقق بإدراك الجذر الحقيقي لحالة الغثاء الراهنة التي تعيشها الأمة، وتجاوز تلك الحالة باتباع معالم الطريق الذي يصفه القرآن لأمته. والتي تتمثَّل في "العودة الحميدة إلى وضعية العافية العمرانية النابعة من التوحيد والتزكية والعمران، والـمُتجسِّدة في واقع البشرية جمعاء" (عمر، 2021، ص9).

الأصلح عملاً. وهذا النموذج الحضاري البديل يقوم على تفاعل الجزء مع الكلِّ وَفق قواعد وقواسم مُشترَكة، و"على تكافل عناصر المجتمع الإنساني بوصفهم أُسْرة كُبرى مُمتدَّة، تعيش في بيت مُشترَك، تستظلُّ بقِيَم مُشترَكة، هي: التوحيد والتزكية والعمران، وتتحرَّك وَفق قواعد مُشترَكة مُنبثِقة عنها." وقد أطلق العلواني على هذه القواعد اسم قواعد التفكير الـمُشترَك (أبو الفضل والعلواني، 2009ب، ص٢٢).

3. مفاهيم تأسيسية في النموذج البديل

بنى العلواني مشروعه في النهوض على ما سمّاه ثلاثية الإسلام الخالدة (العلواني، 2003، ص44)، وهي: عالمية الخطاب، وإطلاقية الكتاب، وشِرْعة التخفيف والرحمة. وهذه الثلاثية تُؤسِّس لجدليةٍ يتفاعل بعضها مع بعضٍ تأثُّراً وتأثيراً، لتُشكِّل -في نهاية المطاف- دعائم مشروعه الحضاري.

وقد طرح العلواني فكرة العالمية من خلال تطوُّرات العلاقة بين الأَنا والغير في إطار رؤية منهجية ومعرفية جديدة ذات محتوى، مُستوعِباً مُقوِّمات العالمية المعاصرة، وقادراً على النفاذ فيها والتعامل معها؛ ما يُحتِّم علينا -في نظر العلواني- أنْ نتقدَّم إلى مستوى العالَم، لا أنْ يتدنّى العالَم إلى مستوانا؛ ذلك "أنَّ عالمية الطرح تقتضيها عالمية الحضارة" (العلواني، 2003، ص146).

ومن ثَمَّ، فإنَّ العجز عن التفاعل والتواصل الديني والحضاري مع الغير -في رأي العلواني- هو عجز عن تحصيل الفهم لعالمية الإسلام؛ ذلك أنَّ العالمية -في طرحه- تُبْنى على التمدُّد والانفتاح، وليس الانغلاق. وهذا يعني أنَّه "ما من دين يَدَّعي العالمية، ويكون بذات الوقت مُنغلِقاً عاجزاً عن استيعاب أنساق العالَم الحضارية ومناهجه المعرفية. ولكيْ يكون لهذا الدين العالمي قدرة الاستيعاب هذه؛ فلا بُدَّ أنْ يكون كتابه المرجعي مُطلَقاً، بحيث يرقى على الخصوصيات البشرية، ويتفاعل معها بنفس الوقت" (العلواني، 2003، ص43).

وفي إطلاقية الكتاب، أشار العلواني إلى وجود حكمتين بالغتين من إعادة الرسول ﷺ ترتيب الكتاب الحكيم وسوره الكريمة: قطعه عن السياق الزمني له، وتحريره من خصوصية بيئة النـزول.

ولا شكَّ في أنَّ هذه الإعادة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقدرة القرآن الاستيعابية على تجاوز كلِّ ما يستجدُّ من قضايا بعد عهد الرسالة. وهي تشير كذلك إلى أنَّ الوقائع وأسباب النـزول إنَّما جاءت لمساعدة البشرية في الأزمان الـمُتعاقِبة "على إدراك منهجية التأسّي برسول الله ﷺ في عمليات ربط النصِّ في الواقع، وتكييف الواقع بحيث يستجيب لدلالات النصِّ" (العلواني، 2021، ص16). "وحين يكون الكتاب الكريم مُطلَقاً ليُحقِّق عالميته، فلا بُدَّ من أنْ تتَّصف أحكامه بالتخفيف والرحمة على مستوى التشريعات" (العلواني، 2021، ص35)، بحيث تستجيب تشريعاته للمُتغيِّرات المحيطة بنا بكلِّ أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية؛ ما يقتضي إعادة قراءة النصِّ القرآني لاكتشاف كوامنه بما يُحقِّق فعّاليته في الزمان والمكان.

وفي رأي العلواني، فإنَّ استيعاب فكرة تدرُّج الخطاب الإلهي نحو العالمية يُمثِّل لُبَّ الفِقْه، الذي سيعمل على تغيير كثير من المفاهيم التي أعاقت عملية النهوض؛ لتسبُّبها بمعارك وصراعات جانبية أشغلت الأُمَّة عن هدفها الأساس. فنحن "أمام خطاب إلهي في القرآن يمضي مُتدرِّجاً من العائلية (آدم عليه السلام) إلى القَبَلية (اليهود والنصارى) إلى الأُمِّية (العرب) إلى العالمية، يُقابِله تدرُّج في الخطاب التشريعي من شرائع الإصر والأغلال إلى شِرْعة الرحمة والتخفيف. ... ثمَّ تدرُّج مُقابِل في مفهوم الحاكمية من حاكمية إلهية مُطلَقة إلى حاكمية خلافة نبوية ثمَّ إلى حاكمية كتاب" (العلواني، 2021، ص39).

ثالثاً: المشروع الحضاري: وسائله، وآليَّة اشتغاله

نحا العلواني بالفِقْه نحو منحى التأسيس الحضاري حين ربط بين تحقيق التصوُّر الحضاري المنشود وتفعيل دور الاجتهاد؛ فقد أكَّد أنَّ الإسلام يرفض التقليد والتبعية وتعطيل العقول بوصف ذلك كلِّه أموراً طارئةً ودخيلةً على الفكر الإسلامي والعقلية الإسلامية. بيد أنَّ هذا الطارئ تحوَّل – من وِجهة نظر العلواني– إلى أمر أصيل في العقلية الـمُسلِمة؛ نظراً إلى شيوع فكرة التقليد، وحصول الاتِّفاق الضمني على انسداد باب الاجتهاد، "وأنَّ ما تركه الأئمَّة الأربعة –من فقهاء أهل السُّنَّة

رضوان الله عليهم- من فِقْهٍ كافٍ للمسلمين، ومُغْنٍ لهم عن الاجتهاد" (العلواني، 2021، ص6). فما الذي قصده العلواني بالاجتهاد؟

1. الاجتهاد عند العلواني

بحث العلواني في كُنْه الاجتهاد وطبيعته وقواعده، وقد تَبيَّن له أنَّ أوَّل علوم الـمُسلِمين كان الفِقْه، لكنَّه ليس الفِقْه بمعناه الاصطلاحي الخاص، وهو "العِلْم بالأحكام الشرعية العملية الـمُستمدَّة من أدلَّتها التفصيلية"، وإنَّما الفِقْه بمعناه الشامل. قال العلواني في ذلك: "الفِقْه هنا أعمُّ من أنْ يكون معرفة الأحكام الشرعية العملية وحدها، أو الاعتقادية وحدها، أو هو عمل اليوم والليلة وحده، أو الآداب والأخلاق وحدها، أو فِقْه المعاملة وحده، بل هو ذلك كلُّه؛ إنَّه فِقْه الإسلام كلِّه، وفهمه بِرُمَّته. وهذا الفِقْه الذي نسب إلى أبي حنيفة فيه ذلك الكتاب المطبوع الذي سُمِّي بالفِقْه الأكبر" (العلواني، 2008، ص92). بيد أنَّ هذا الفِقْه الأكبر لا يُمكِن أنْ يتحقَّق من غير تغيير وتجديد، وأنْ تُسيِّره إرادة الإصلاح، وأنْ يحتكم إلى الفِقْه القويم، والفكر السليم. قال العلواني في ذلك: "إنَّ الواقع السيِّئ الذي يعيشه الـمُسلِمون لا سبيل لتغييره إلّا بتغيير ما في النفوس وما في العقول، وتغيير ذلك ما هو بالأمر الهيِّن، ولا بالـمُتعذَّر، ولكنَّه يحتاج إلى اجتهاد" (العلواني، 1979، ص3).

وفي ما يختصُّ بالاجتهاد، فقد خالف العلواني الأصوليين في تعريفهم الاجتهاد الذي مفاده: "استفراغ الـمُجتهِد الوُسْع في استنباط حُكْم فِقْهي من دليل شرعي"؛ إذ عرَّفه العلواني بأنَّه حالة عقلية لكلِّ مَنْ تلقّى القرآن الكريم، وآمن به، وهو واجب على كلِّ فرد من أبناء "أُمَّة الإجابة"، ولا يرضى ما يُنقَل إليه دون التثبُّت من صِحَّته، وذلك وَفق منهاج صارم يقيم الحُجَّة والبرهان والدليل (الدخاخني، 2014).

ولـمّا كان الاجتهاد يحمل في ذاته منهجاً في الفهم، فإنَّ العلواني لم يحصر وظيفة الفِقْه فقط في تعرُّف الأحكام الشرعية، وإنَّما أعطاه وصفاً عامّاً، عنى به الفهم الدقيق، بعيداً عن معناه

الاصطلاحي الذي ظهر بعد عصر التدوين، حيث بدأت العلوم تتمايز، وأخذت علوم أُخرىٰ تظهر إلىٰ جانب الفِقْه، مثل: عِلْم التفسير، وعِلْم الحديث. وقد استمرَّ الفِقْه بمعناه العام والفِقْه بمعناه الاصطلاحي منذ عهد النُّبُوَّة إلىٰ بداية عصر الراشدين الذي انتهىٰ بنهايات القرن الرابع الهجري، لتبدأ مرحلة جديدة توقَّف فيها دور الاجتهاد، فجَمَدَ الفِقْه، وشاع التقليد والتمذهب.

ولهذا نجد أنَّ العلواني قد سعىٰ إلىٰ بِناء اجتهاد معاصر، ينبع من عقلية مُجتهِدة، تُجدِّد الصلة بالقرآن الكريم، وتُؤسِّس لفِقْه حضاري عمراني، عن طريق وضع إطار نظري لبِناء الـمُجتهِد القادر علىٰ توليد الفِقْه الحضاري، فيمَنْ سمّاه العلواني إنسان التغيير الرسالي (العلواني، 2021، ص35).

2. الإطار النظري لبِناء الـمُجتهِد الرسالي

أسبغ العلواني علىٰ إنسان التغيير الرسالي عدداً مُحدَّداً من الصفات، وجعلها خاصَّة بتكوينه في إطار من التزكية (ثاني مقصد للقرآن الكريم ضمن المقاصد العُليا الحاكمة لحركة الفرد والمجتمعات) والمعرفة والحكمة؛ فهو إنسان واعٍ بذاته، ومَهَمَّته تتمثَّل في إعادة تشكيل الأُمَّة الخَيِّرة الوسط القادرة علىٰ تقديم الحلول الواقعية لأزمات الناس؛ إنَّه إنسان واعٍ بالعالمية الـمُستوعِبة للبشرية الـمُتجاوِزة كلَّ دعوات الحَصْر؛ سواء أكانت قومية، أم جغرافية، أم طائفية، أم لاهوتية. ومن ثَمَّ، فهو إنسان يتَّضح في ذهنه معنىٰ الحاكمية الـمُهتدِية بكتاب الله الحاكم. وهو كذلك إنسان مُدرِك للخصائص القرآنية التي تفرَّد بها القرآن الكريم؛ فهو كتاب خلافة وعمران وتزكية (أيْ إنَّه برنامج لِبناء حياة راسخة، وهو مُعادِل للوجود من حيث كونيته وحركته)، وشِرْعته شِرْعة تخفيف ورحمة، ومن ثَمَّ قُدِّم للبشرية بوصفه القادر علىٰ استيعاب مشكلات العصر وتجاوزها.

رابعاً: مستلزمات الفِقْه الحضاري

ربط العلواني بين تكوين الفِقْه الحضاري وتحصيل الفهم القويم للوحي والوجود، علىٰ أساس أنَّ هذا الفِقْه يجمع بين فِقْه النصِّ وفِقْه الواقع وفِقْه الزمن. فما فِقْه النصِّ الذي قصده العلواني؟

1. فِقْه النصِّ

يُعْنىٰ فِقْه النصِّ بإدراك منهجية التأسّي برسول الله ﷺ في عمليات ربط النصِّ بالواقع، وتكييف هذا الواقع علىٰ نحوٍ يستجيب لدلالات النصِّ عن طريق "تنـزيل قِيَم النصِّ علىٰ الواقع النسبي الـمُتغيِّر الـمُتحرِّك" (العلواني، 2021، ص16)؛ أيْ إنـزال قِيَم الوحي علىٰ حياة الناس. وقد اشتغل علىٰ هذه المسألة علماء مُجدِّدون ضالعون في فِقْه هذه المناهج وفهم أبعادها، ومحيطون بحدود العلاقة بين الـمُطلَق والنسبي، والثابت والـمُتغيِّر، والكُلِّيات والجزئيات، بحيث "يُمكِن للنصِّ أنْ يُرشِد الواقع، ويُمكِن للواقع أنْ يستخرج من النصِّ كُلِّياته ومقاصده ليهتدي بها في توازن" (العلواني، 2021، ص19). وهذا يتحقَّق بالالتفات إلىٰ "الوحدة البنائية" للقرآن الكريم، واتِّحاد السُّنَّة النبوية في بيانها المنهجي مع القرآن الكريم؛ أيْ بتحقيق مبدأ "الجمع بين القراءتين".

2. فِقْه الواقع

وجد العلواني أنَّ التجديد والاجتهاد وإعادة بِناء الأُمَّة يستلزم فِقْهاً للواقع بكلِّ جوانبه، وتحقيقاً للوعي بالذات أو بالآخر. وقد أكَّد علماء الأُمَّة الـمُتقدِّمون "أنَّ للأشياء وجوداً ذهنياً ووجوداً لغوياً ووجوداً خارجياً، والواقع الخارجي يكون أحياناً علىٰ سبيل الواقع ونفس الأمر، ويكون أحياناً واقعاً في تصوُّراتنا وأذهاننا، فنحسبه واقعاً وما هو بواقع إلّا في أذهاننا أو مُخيِّلاتنا. ... فالوجود الذهني قد لا ينسجم مع الوجود الخارجي، والوجود اللغوي قد لا يُعبِّر بالدِّقَّة اللازمة عن أيٍّ من الوجودين: الذهني، والخارجي" (أبو الفضل والعلواني، 2009ب، ص6–7). ومعنىٰ ذلك أنَّ الواقع قد يكون في الذهن، أو في الخارج، أو في الواقع العقلي؛ فهو مزيج من التفكير والتصوُّر والمعرفة والعِلْم، لكنَّه لا بُدَّ أنْ يتعيَّن بصفات مُعيَّنة يتَّصف بها ليكون واقعاً بحَقٍّ.

ومن ثَمَّ، فقد ربط العلواني الفِقْه الحضاري بفِقْه الواقع، بوصفه أمراً ضرورياً من حيث تضمُّنه في فعل الـمُجتهِد والـمُفكِّر والـمُصلِح، وفي عمل كلِّ مَنْ هو مَعْنِيٌّ بالشأن العام. كذلك عَدَّه العلواني

عِلْماً مُستقِلاً، أو جزءاً لا يتجزَّأ من عِلْم أصول الفِقْه في بِنائه الجديد، مُؤكِّداً أنَّ صناعة الإنسان المستنير لا تتمُّ إلّا بدراسة الواقع وفِقْهه، بوصفهما أمرين مُهِمَّين جِدّاً لأيِّ أزمة يُراد حَلُّها أو مشروع يُرتجى تحقيق نجاحه. غير أنَّه يتعسَّر تحقيق ذلك من دون وجود منهاجية ضابطة تأخذ خصائص الأُمَّة الذاتية وأُسس تكوينها بالاعتبار؛ فالدراسات كثيرة، لكنَّها لا تنتمي إلى أُمَّتنا وكياننا الاجتماعي.

وفي محاولةٍ من العلواني لرَأْب الصَّدْع بين "الفكر والحركة"، نجده قد دعا إلى دراسات تنتمي إلى الواقع، وتنطلق من منظور التجدُّد الحضاري في التعامل معه؛ ما يُمكِّن الإنسان الـمُسلِم المستنير من فهم الواقع، والتعامل معه تعاملاً رشيداً. فالفِقْه غير الدراسة؛ ذلك أنَّ دراسة الواقع هي التي تؤدّي إلى الفِقْه بمعناه القرآني الذي ورد في آيات عديدة، منها: قوله تعالى: (فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا) (النساء:78)، وقوله تعالى: (ليتفقهوا في الدين) (التوبة: 122). ومن ثَمَّ، فإنَّه توجد علاقة بين قراءة الواقع و"فهم اشتغال الأنساق الحضارية والأنماط الثقافية والمناهج المعرفية القائمة ومكامن الإشكال في كلٍّ منها" (العلواني، 2003، ص53). فالواقع هو تعبير عمّا حدث، وثبت، وحصل، بحيث صار ثابتاً لا يُمكِن إنكاره، أو تجاهله، أو المماراة فيه. أمّا الفِقْه فيُعبِّر عن "مُطلَق الفهم، أو القدرة على الفهم، أو فهم الأمور الدقيقة" (أبو الفضل والعلواني، 2009ب، ص10).

3. فِقْه الزمن

يُؤثِّر الفِقْه بالزمن تأثيراً كبيراً في قراءة الواقع وصنع الحضارة. ولهذا رأى العلواني أنَّ قضية الزمن من أخطر القضايا التي أثَّرت في مَسيرة البشرية قديماً وحديثاً. غير أنَّ فكرة الزمن من الأفكار الغامضة التي لا تُدرَك إلّا بآثارها وكيفية تناولها في الحضارات الـمُمتدَّة؛ فالزمن خَلْقٌ من خَلْق الله تعالى، وبدايته هي من حيث أَذِن الله تعالى له أنْ يبدأ، ثمَّ كان سَيْره في الخَطِّ الذي قدَّره سبحانه له، لينتهي نحو غاية ونهاية مرسومة له. وقد جاءت النُّبُوّات لتعالج الأبعاد الفيزيقية من حيث علاقة الزمن بأصل الموجودات، ونشأة الكون، ونحو ذلك.

ولهذا حرص الرسول ﷺ على تخليص الزمن من تراكمات الأفكار المختلفة التي أتت بها الجاهليات والفلسفات التي سبقت نـزول الوحي، بإعلانه ﷺ أنَّ الزمان قد استدار كهيئة يوم خَلَق الله تعالى السماوات والأرض، فجعل الزمن بذلك "حجر الأساس العمراني الإسلامي الإنساني، وبَدْء دورة تجديد وتحديث على مستوى البشرية" (أبو الفضل والعلواني، 2009ب، ص48–50).

وقد ارتبطت بمفهوم الزمن قضايا عقدية وعبادية وعملية، وهو ما يتَّضح في الطريقة القرآنية في التعريف بالزمن، الذي يكون بإيجاد تصوُّر دقيق في العقل الإنساني، مثل ربطه منظومة العبادات بالأقسام الزمنية ربطاً وثيقاً مُحْكماً؛ فلا يخلو وقت من أوقات الإنسان في الزمن إلّا وفيه موسم عبادة؛ ما يمنح الإنسان وعياً عميقاً بالزمن، يُمكِّنه من توظيفه في مشروع البِناء الحضاري.

خامساً: فِقْه التجديد الحضاري

وجد العلواني أنَّ فِقْه التجديد الحضاري جزء لا يتجزَّأ من الفِقْه الحضاري في مَسيرة الأُمَّة وصيرورتها في الزمن، مُبيِّناً أنَّ الإشكالية لا تكمن في مصادر الهداية التي لا تحتاج إلى تجديد، وإنَّما تتمثَّل في فهم الـمُسلِمين، وطرائق تفكيرهم، ورؤيتهم للدين والكون والحياة؛ فهذا هو الذي يحتاج إلى تجديد حقّاً.

1. طبيعة النسق الإسلامي وإمكانية التجديد

رأى العلواني أنَّ لكلِّ نسق ثقافي حضاري منهاجه الخاص به الذي يعمل من خلاله، وأنَّ النسق الإسلامي يختلف عن الأنساق الوضعية من حيث مفهوم التنظيم الجمعي لعمل الأفراد كافَّةً؛ فهو يتَّجه إلى الفرد من خلال الأُمَّة، لا من خلال فئة، أو طائفة، أو حزب، أو تنظيم بعينه. ولهذا امتاز النسق الإسلامي بأنَّه نسق مفتوح يستجيب للتغيُّرات الحادثة في الزمن، ويستوعب الـمُستجدّات في إطار قِيَم قرآنية حاكمة وحامية للنسق، وهي قِيَم التوحيد والتزكية والعمران. ومن ثَمَّ، فإنَّ إدخال بعض العلماء أفكاراً تقول بالنهايات، وأنَّه "ليس في الإمكان أبدع مِمّا كان"،

و"أنَّ السالف لم يترك للخالف شيئاً"؛ هو فهم يُجانِب الصواب؛ لأنَّه صدر بناءً على "قناعات بانسداد الأُفق المعرفي؛ لانفصامه عن الكتاب الكوني (القرآن)، في حين أنَّ هذا النسق -من خلال مبدأ التجديد الذي جاء القرآن به- يُفترَض به ألّا ينغلق، ولا يُغلَق" (أبو الفضل والعلواني، 2009أ، ص143).

وفي رأي العلواني، فإنَّ تجديد البِناء يكمن في بُعْدين؛ أوَّلهما مَعْنِيٌّ باستيعاب مَنْ دُرِجَ على تسميتهم أهل القِبلة وأُمَّة الإجابة بالرغم من التباين والاختلاف فيما بينهم، وثانيهما مَعْنِيٌّ بمخاطبة مَنْ هم خارج أُمَّة الإجابة؛ أيْ بالبُعْد العالمي للإسلام، وذلك على نحوٍ لا يطغى فيه أحد على الآخر، مع ما يظهر بينهما من تعارض، وهو ما يتطلَّب إيجاد منهجية تربط بين الوحي والكون والإنسان، وتكون مُستقاة من القرآن الكريم بوصفه مصدر المنهج والشِّرْعة ومُقوِّمات الشهود الحضاري والعمراني. فما هذه المنهجية؟

تُشكِّل المنهجيةُ القاعدةَ الفكرية والفلسفية والنظرية التي يتأسَّس عليها البِناء الحضاري؛ لذا، فهي تُعَدُّ "ضرورة أوَّلية ومُقدِّمة ضرورية لتكوين عقلية قادرة على الاجتهاد والإبداع" (العلواني، 2021، ص27). وهذه المنهجية تعمل على تحقيق الاتِّساق والتناغم بين مُكوِّنات النسق المعرفي الإسلامي، بعيداً عن فكر المقاربات والمقارنات الذي يؤدّي إلى إرساء مشروعه في التجديد.

2. الخَطُّ المنهجي في التجديد

في سبيل تقرير منهج مُتكامِل يضع الأمور في نصابها، عَدَّ العلواني -بوصفه فقيهاً وأصولياً مُتمرِّساً- مراجعة أصول الفِقْه لتحقيق شهود الأُمَّة الحضاري ضرورة قصوى. ولهذا نجده قد دعا إلى مراجعة شاملة لعِلْم أصول الفِقْه وَفق ثلاث قواعد، هي: مراجعة كلِّ ما أنتجه الأصوليون على امتداد حقب التاريخ الإسلامي، ووضع هذه المراجعة في إطار المبادئ والأهداف والغايات التي قرَّرها مَنْ تصدَّر الجمع والتأصيل لقواعد الفِقْه، ودراسة آثار ما أُنتِج في عقلية الأُمَّة ونفسيتها من حيث القدرة على معالجة مشكلات الأُمَّة، والوقوف في وجه تقدُّمها؛ تمهيداً للوصول إلى المنهج

البديل، بتصحيح ما يُمكِن تصحيحه، وتقديم البديل عمّا لا يُمكِن تصحيحه؛ بُغْيَةَ إعادة الأمور إلى نصابها، وذلك برَدِّها إلى الأمر الأوَّل، على أساس أنَّه "لا يَصْلُح آخر الأُمَّة إلّا بما صَلُح أوَّلها" (العلواني، 2021، ص118-119).

وبالرغم من أنَّ عِلْم أصول الفِقْه قد غاب حقباً من الزمن عن التداول، فإنَّ سعي الباحثين الـمُسلِمين إليه قد بدأ منذ أوائل القرن الماضي؛ لإدراكهم أهمِّيته الكبيرة في إصلاح الفكر الإسلامي، وإعادة بِناء العقل الـمُسلِم وتشكيله. ونذكر من هؤلاء الباحثين: مصطفى عبد الرازق الذي لقَّبه بـ"فلسفة الإسلام"[4] (العلواني، 2022، ص130). كذلك عَدَّه العلواني "عِلْم المنهج" بإطلاقٍ (أبو الفضل والعلواني، 2009أ، ص121).

وفي سبيل إعداد جيل يكون لَبِنة وأداة في التمكين للمشروع الحضاري، مهَّد العلواني لخَطٍّ منهجي سيقوم هذا الجيل ببلورته عن طريق أعمال بحثية تتَّسم بالجِدَّة، ووضع معالم لهذا المنهج، ودعَّمه بفكرتين؛ إحداهما تتعلَّق "بالمنظور الاجتماعي الحضاري"، والأُخرى هي "فكرة النسق القياسي". فما مضمون هاتين الفكرتين؟

يُعَدُّ "المنظور الاجتماعي الحضاري منظوراً أصيلاً، يُمكِن من خلاله إعادة الاعتبار للحضارة الإسلامية بوصفها حقيقةً تاريخيةً وواقعاً، وبوصفها قابلة للتجدُّد واستعادة الفاعلية" (أبو الفضل والعلواني، 2009ب، ص14). وهذا المنظور يتضمَّن شروط النهضة، وينطلق من الواقع العربي، لكنَّه يحوي -في الوقت نفسه- الطابع العالمي للمشروع الإسلامي الذي يستقي أصوله من استقراء الخبرة الحضارية للإنسان التاريخي في عصر الرسالة، ومن الخبرة الحضارية الإسلامية. كذلك يتَّسم هذا المنظور بالعالمية الناتجة من طبيعة هذه الدعوة وواقعها بوصفها دعوة خاتمة للبشرية؛ ما يَحول بينها وبين الانـزواء والتقوقع. وهذا المنظور له أيضاً القدرة على صياغة فكر جديد مُبدِع، يتَّسم

[4] في بيان العلاقة بين عِلْم أصول الفِقْه والفلسفة، ذهب مصطفى عبد الرازق إلى القول بأنَّ فروع عِلْم أصول الدين -كما أوردها طاش كبرى زاده في كتابه "مفتاح السعادة": عِلْم النظر، وعِلْم المناظرة، وعِلْم الجدل، وعِلْم الخلاف- هي من العلوم العقلية؛ الأمر "الذي يدلُّ على مدى اصطباغ هذا العِلْم بالصبغة الفلسفية" (عبد الرازق، 2011، ص119).

بالحيوية والقابلية؛ لتحقيق قَدْر من التنوُّع والانفتاح، علماً بأنَّ طبيعة هذا المنظور تتركَّز في أنَّه يتجاوز الرؤىٰ التشخيصية إلىٰ "رؤية حضارية إصلاحية تكوينية، تُوفِّر إطاراً نظرياً لنواة مشروعات حضارية، تتَّسم بالقدرة علىٰ فهم الواقع، والقدرة علىٰ ترشيده" (أبو الفضل والعلواني، 2009ب، ص14–15).

والفكرة الثانية الداعمة للمنهجية الحضارية هي فكرة النسق القياسي، فماذا قصد العلواني بالنسق القياسي؟ يُعبِّر النسق القياسي عن معايير يُمكِن علىٰ أساسها تقييم الأداء وقياسه بشكل دقيق؛ لتعرُّف مدىٰ اقترابه من تطلُّعات الجماعة وغاياتها، ومدىٰ ابتعاده عنها. كذلك يقيس النسق القياسي الظواهر الناتجة من عمليات التفاعل، ومدىٰ انطباقها مع القِيَم المعنوية الناظمة لهذا النسق أو اختلافها عنه. فلو نظرنا إلىٰ حركة الأُمَّة في سعيها نحو أهدافها لوجدنا أنَّها تتَّخذ مسارات مُحَدَّدة عبر الزمن؛ لتكون نُظُماً قد تتَّخذ شكل أنساق تعمل علىٰ دعم الأُمَّة في عمليات التجدُّد الذاتي. وبذلك تأتي "فكرة النسق القياسي بكلِّ ما تحمله من مضامين قِيَمية معنوية لتُوفِّر للباحث الذي ينظر في الواقع والأدوات مقياساً دقيقاً وميزاناً ليس فقط لترشيد دراسته، ولكنْ من تجاوز موقعه كناظر ومُحقِّق في واقع مُعيَّن" (أبو الفضل والعلواني، 2009ب، ص17).

خاتمة

يُعَدُّ العلواني مُفكِّراً فريداً من بين الـمُفكِّرين؛ فهو يُدهِشك بكَمِّ أفكاره وغزارتها؛ فقد قدَّم فلسفة مُتكامِلة في الفِقْه الحضاري، وعمل علىٰ تأصيلها، ووضع أساسها ومنهجها وعناصر تكوينها. كذلك استطاع العلواني الجمع بين الذاتي والـمُشترَك، وبين الخاص والموضوعي، فأنتج معرفة تفاعل فيها النظر العقلي مع التأمُّل الوجداني. وبالمثل، فقد أثمر حوار المعطيات الذاتية والمعطيات الموضوعية بعضها مع بعضٍ فلسفة بين أجزائها الـمُبعثَرة سِجال مُستمِرٌّ. وبالرغم من ذلك، فهي فلسفة مُتناسِقة، تستمدُّ تماسكها من جدلها الـمُستمِرِّ ومن تجدُّدها.

وممّا لا شكَّ فيه أنَّ العلواني أراد فِقْهاً موصِلاً إلى الحضارة، لا فِقْهاً مُعيقاً لها، ومن ثَمَّ عمل على تقديم فِقْه بديل عن ذلك الذي أُنتِج في مجتمعات وسياقات سابقة، وأمكن له إعادة بِناء مفاهيم مُؤسِسة لهذا الفِقْه الحضاري، المحكوم بمقاصد قرآنية عامَّة وشاملة، استنبطها من خلال تأمُّل طويل في القرآن الكريم.

كذلك أعاد العلواني بِناء قواعد "أصول الفِقْه"، وعمل على تجديدها؛ لِبناء "الفِقْه الأكبر" من خلال المقاصد القرآنية العُليا الحاكمة، وتمكَّن بذلك من إنشاء فِقْه للواقع، فتح به باب التجديد، ووضع من خلاله معالم التغيير عن طريق ربطه العقلي الـمُحْكم بين النصوص والوقائع، مُقدِّماً بذلك رؤية إصلاحية وتجديدية للواقع الإسلامي المعاصر، شملت حركة الإنسان في الحياة على مَرِّ العصور، وقامت على إدراك عالمية الإسلام والمنطق الإسلامي الفكري بوصفه الدعامة الأساسية للمشروع الحضاري.

في الختام، بقي أنْ نقول إنَّ المشروع الحضاري للعلواني مترامي الأطراف، وكتاباته مُتشعِّبة، لكنَّها جميعاً تخدم هدفاً واحداً، هو تحقيق فِقْه حضاري ينتقل بالأُمَّة من حالة الغياب إلى حالة الشهود؛ فجميع محاولاته التنظيرية تَصُبَّ في إعداد الأُمَّة لتحمُّل عِبْء النهوض الحضاري، الذي يسبقه فهم ووعي إنساني بوحدة البشرية، ووحدة دين الله تعالى؛ ما يُمكِّن الأُمَّة من القيام بمقتضيات الحضارة والاستخلاف.

غير أنَّ أفكار العلواني ما تزال بحاجة إلى مزيد من الدراسة والتحليل؛ بُغْيَةَ سَبْر غَوْرها، وتحويلها إلى مشروع حضاري واقعي يفيد الأُمَّة في راهن وضعها ومستقبل وجودها، وهو ما يطرح عدداً من التساؤلات، أبرزها: كيف يُمكِن الاستفادة من تنظيرات العلواني بخصوص الفِقْه الحضاري الذي تعالى على الزمان والمكان، وخضع للتطوُّرات التي أَمْلتها إحداثيات كلِّ مرحلة؟ وكيف يُمكِن الاستفادة من هذا الفِقْه الـمُتحرِّك لإيجاد حالة أُممية تُهيِّئ البشر لعالَم أكثر اتِّزاناً؟

أيْ، كيف نستطيع الاستثمار في مفهوم الاجتهاد عند العلواني لِبناء نظام مُتكامِل، يُفْضي إلى إيجاد بيئة تجعل الأُمَّة أهلاً لاستئناف دورها الحضاري؟ فهذه الأسئلة المطروحة وغيرها تتطلَّب

مزيداً من البحث والتقصّي لاستكناه الموضوع من جميع جوانبه، والوقوف على أدقِّ تفاصيله وحيثياته.

في ما يأتي أبرز التوصيات التي تُقدِّمها الباحثة، وتختم بها رؤيتها لمعالم الفِقْه الحضاري عند العلواني:

1. ترسيخ الوعي الحضاري الذي بدأ العلواني ببِنائه، وهو وعي مُدرِك للعوامل التي أفضت إلى انكماش فعل الأُمَّة وضموره؛ إذ طرح العلواني المفاهيم الإشكالية التي واجهتها الأُمَّة وأعاقتها عن شهودها الحضاري، مُستنِداً في ذلك إلى حاكمية الكتاب التي تقوم على الفهم البشري الـمُتغيِّر.

2. البِناء على مفهوم الاجتهاد عند العلواني، بوصفه الأساس في فلسفته التجديدية ورؤيته الحضارية؛ فقد أصَّل العلواني من خلاله لفِقْهٍ مُتحرِّك سيُمكِّن الأُمَّة من تجاوز مأزقها الذي ما تزال ترزخ تحت وطأته.

3. اتِّباع منهجية العلواني في التجديد، التي تحتكم إلى المقاصد القرآنية العُليا (التوحيد، التزكية، العمران، الأُمَّة، الدعوة)، وتدور في إطار الرؤية الكونية القرآنية للعالَم، وتهدف إلى تغيير الموقف البشري من الكون والعالَم والحياة والأشياء.

4. الإفادة من رؤية العلواني الإصلاحية في الفِقْه التجديدي؛ أيِ الفِقْه الأكبر الـمُنبثِق من القرآن الكريم، وصلاحية آياته لكلِّ زمان ومكان؛ ما يتيح غرس القابلية للتجديد الذاتي في الأصول والفِقْه، وحفظهما من عوامل الفتور والظرفية التي تصيب الشرائع والـمِلَل.

5. البِناء على مفهوم العلواني للوحدة البشرية، المطروح في القرآن الكريم من مُنطلَق حضاري، بحيث تصبح هذه الوحدة مُمكِنة بناءً على عالمية الخطاب؛ ما يُسهِم أوَّلاً في تخليص العالَم الإسلامي من حالة التشظّي والتمزُّق، ثمَّ انتشال العالَم أجمع من واقع الانهيار الأخلاقي والقِيَمي.

المراجع

حاج حمد، محمد أبو القاسم (2004). **الأزمة الفكرية والحضارية في الواقع العربي الراهن**، ط1، بغداد: دار الهادي، مركز دراسات فلسفة الدين.

أبو حليوة، إبراهيم سليم (2011). **طه جابر العلواني: تجليات التجديد في مشروعه الفكري**، ط1، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

الدخاخني، محمد (2014). **المنهاج الفكري للدكتور طه جابر العلواني**، ورقة منشورة في مكتبة العلواني الإلكترونية. الرابط الإلكتروني: https: / /alwani.org

الدقور، سليمان محمد (2013). "البواعث الفكرية والمنهجية في سلسلة الدراسات القرآنية لطه جابر العلواني"، **مجلّة الفكر الإسلامي المعاصر (إسلامية المعرفة سابقاً)**، السنة18، العدد72، ص168-153.

عبد الرازق، مصطفى (2011). **تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية**، تقديم: محمد حلمي عبد الوهاب، القاهرة: دار الكتاب المصري.

عشماوي، عماد الدين (2019). **المقاصد القرآنية العليا ودورها في بناء العمران الإسلامي عند الدكتور طه جابر العلواني: مفهوم الأمة نموذجاً**، مؤسسة نماء للبحوث والدراسات.

العلواني، طه جابر (1979). **الاجتهاد والتقليد في الإسلام**، ط1، القاهرة: دار الأنصار.

العلواني، طه جابر (1994 أ). **الأزمة الفكرية المعاصرة: تشخيص ومقترحات علاج**، ط4، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

العلواني، طه جابر (2003). **الأزمة الفكرية ومناهج التغيير**، ط1، بيروت: مركز دراسات فلسفة الدين وعلم الكلام الجديد، دار الهادي.

العلواني، طه جابر (1994 ب). **إصلاح الفكر الإسلامي: بين القدرات والعقبات**، ط2، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

العلواني، طه جابر (2020). **تفسير القرآن بالقرآن**، ط2، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

العلواني، طه جابر (1989). **خواطر في الأزمة الفكرية: المأزق الحضاري للأمة الإسلامية**، ط1، عمّان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

العلواني، طه جابر (2010 أ). **ابن رشد الفقيه الفيلسوف**، ط1، القاهرة: دار السلام.

العلواني، طه جابر (2021). **العقل المسلم بين الاجتهاد والتقليد**، بحث مُقدَّم في الملتقى الدولي في الجزائر.

العلواني، طه جابر (2010 ب). **معالم في المنهج القرآني: دراسات قرآنية**، ط1، القاهرة: دار السلام.

العلواني، طه جابر. (2001 أ). **مقاصد الشريعة**، ط1، بيروت: دار الهادي.

العلواني، طه جابر (2001 ب). **مقدمة في إسلامية المعرفة**، ط1، بيروت: دار الهادي.

العلواني، طه جابر (2008). **نحو التجديد والاجتهاد: مراجعات في المنظومة المعرفية الإسلامية، أوَّلاً: الفقه وأصوله**، ط1، مصر: دار التنوير.

عمر، السيِّد (2021). **جامع فقه الأمة: رحيق الحقيبة المعرفية للعلامة طه جابر العلواني**، ط1، القاهرة: دار الكلمة.

أبو الفضل، منىٰ، والعلواني، طه جابر (2009أ). **مفاهيم محورية في المنهج والمنهجية**، ط1، القاهرة: دار السلام.

أبو الفضل، منىٰ، والعلواني، طه جابر (2009ب). **نحو إعادة بناء علوم الأمة الاجتماعية والشرعية: مراجعات منهاجية وتاريخية**، القاهرة: دار السلام.

References

ʿAbd al-Rāziq, M. (2011). *Tamhīd li-Tārīkh al-Falsafah al-Islāmiyyah*. Dār al-Kitāb al-Maṣrī.

Abū al-Faḍl, M., & Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2009). *Mafāhīm Muḥawariyyah fī al-Manhaj wa al-Manhajiyyah* (1st ed.). Dār al-Salām.

Abū al-Faḍl, M., & Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2009). *Naḥwa Iʿādat Binā' ʿUlūm al-Ummah al-Ijtimāʿiyyah wa al-Sharʿiyyah: Murājaʿāt Minhājiyyah wa Tārīkhiyyah*. Dār al-Salām.

Abū Ḥulaywah, I. (2011). *Ṭaha Jābir al-ʿAlwānī: Tajalliyāt al-Tajdīd fī Mashrūʿahi al-Fikrī* (1st ed.). Markaz al-Ḥaḍārah li-Tanmiyyat al-Fikr al-Islāmī.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (1979). *Al-Ijtihād wa al-Taqlīd fī al-Islām* (1st ed.). Dār al-Anṣār.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (1989). *Khawāṭir fī al-Azmah al-Fikriyyah: Al-Ma'zaq al-Ḥaḍārī li-al-Ummah al-Islāmiyyah* (1st ed.). Al-Maʿhad al-ʿĀlamī lil-Fikr al-Islāmī.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (1994). *Al-Azmah al-Fikriyyah al-Muʿāṣirah: Tashkhīṣ wa Muqtaraḥāt ʿIlāj* (4th ed.). Al-Maʿhad al-ʿĀlamī lil-Fikr al-Islāmī.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (1994). *Iṣlāḥ al-Fikr al-Islāmi: Bayn al-Qudrāt wa al-ʿAqabāt* (2nd ed.). Al-Maʿhad al-ʿĀlamī li-al-Fikr al-Islāmī.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2001). *Muqaddimah fī Islāmiyyat al-Maʿrifah* (1st ed.). Dār al-Hādī.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2003). *Al-Azmah al-Fikriyyah al-Manāhij al-Taghyīr* (1st ed.). Dār al-Hādī.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2008). *Naḥwa al-Tajdīd wa al-Ijtihād: Murājiʿāt fī al-Manẓūmah al-Maʿrifiyyah al-Islāmiyyah*. Dār al-Tanwīr.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2010). *Ibn Rushd al-Faqhīh al-Faylasūf* (1st ed.). Dār al-Salām.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2010). *Maʿālim fī al-Manhaj al-Qur'ānī* (1st ed.). Dār al-Salām.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2020). *Tafsīr al-Qur'ān bi-al-Qur'ān* (2nd ed.). Al-Maʿhad al-ʿĀlamī lil-Fikr al-Islāmī.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2021). *Al-ʿAql al-Muslim bayn al-Ijtihād wa al-Taqlīd*. Baḥth Muqaddam fī al-Multaqā al-Dawlī fī al-Jazā'ir.

Al-ʿAlwānī, Ṭ. (2001). *Maqāṣid al-Sharīʿah*. Dār al-Hādī.

Al-Daqūr, S. (2013). Al-Bawāʿith al-Fikriyyah wa al-Manhajiyyah fī Silsilat al-Dirāsāt al-Qur'āniyyah li Ṭaha Jābir al-ʿAlwānī. *Majallat Islāmiyyat al-Maʿrifah*, 72 (18), 153-168.

ʿAshmāwī, ʿI. (2019). *Al-Maqāṣid al-Qur'āniyyah al-ʿUlyā wa Dawruhā fī Binā' al-ʿUmrān al-Islāmī ʿind al-Daktūr Ṭaha Jābir al-ʿAlwānī*. Mu'assasat Numā' li-al-Buḥūth wa al-Dirāsāt.

ʿUmar, Al-S. (2021). *Jāmiʿ Fiqh al-Ummah: Raḥīq al-Ḥaqībah al-Maʿrifiyyah li-al-ʿAlāmah Ṭaha Jābir al-ʿAlwānī* (1st ed.). Dār al-Kalimah.

Taha Jabir Al-Alwani's Fiqh of Civilization

Hanan Faizullah al-Husseini*

Abstract

This article addresses the features of Taha Jabir Al-Alwani's "*fiqh* of civilization" (civilizational jurisprudence) by shedding light on the following: his civilizational philosophy (which stems from the Qur'an's higher objectives (*maqāṣid*)); the nature of his civilizational project and its associated foundational concepts; the tools of this project and its mechanism of operation (*ijtihād*) and the theoretical framework for building an apostolic *mujtahid*; and the requirements and elements of this *fiqh*, which Al-Alwani refers to as "the greater *fiqh*". The article argues that this *fiqh* of civilization is a product of a "philosophy of reception", which is a philosophy based on identifying the Qur'an's universals and principles and then deducing legal rulings from these. This philosophy gave rise to the mindset of trusteeship beyond the reduction of the Qur'an and the divine message to mere rulings, jurisprudence, and legislation. The paper concludes that the project of *fiqh* of civilization is based on a basic assumption: that the current stage in dealing with Western civilization requires three conditions: *fiqh* of scripture, *fiqh al-wāqiʿ* (understanding the local context), and *fiqh* of time. The integration of all of them is expected to lead to the *fiqh* of civilization.

Keywords: *fiqh* of civilization, civilizational jurisprudence, Qur'anic *maqāṣid*, the greater *fiqh*, *fiqh al-tajdīd*, jurisprudence of renewal, *ijtihād*, *fiqh* of scripture, *fiqh al-wāqiʿ*, context, *fiqh* of time.

* Hanan Faizullah al-Husseini holds a PhD (2017) in Philosophy from the University of Jordan. Her research interests include the area of Islamic intellectual thought and civilization. Email: hanan_alhuss@yahoo.com.

Cite this article as: Al-Husseini, Hanan Faizullah (2025). "Taha Jabir Al-Alwani's Fiqh of Civilization", *Journal of Contemporary Islamic Thought (formerly Islamic Knowledge)*, Vol. 31, No. 109, 201-225.
DOI: 10.35632/citj.v31i109.13843